



لوحة رقم (٤) الفنان الفلامنكي جان فان أيك - الرجل ذو العمامة

المرحلة الأولى : التحليل الوصفي

هذه اللوحة التي تحمل اسم (الرجل ذو العمامة) الموجودة في صالة العرض الوطنية في لندن . تعد من أشهر أعمال الفنان الفلامنكي الذي يدعى (جان فان إيك) (١٣٩٥-١٤٤١م) . فاسم اللوحة قد لا يعطي أكثر مما نراه ، حينما أغفلت اللوحة تلك الصفة البارزة فيها والمتمثلة في صفة العمامة ذات اللون الأحمر والتي استحوذت على العين والنظر، كلما تنقلت ببصرك في أرجاء اللوحة . وهذه العمامة قد اختلفت وضعيتها بما هو معروف أو دارج في بعض البلاد العربية والأسبوية حيث أخذت طريقة غير معهود في أوروبا تكاد تقترب هيئتها إلى العفوية أو العشوائية في وضعها فوق الرأس . وأما إذا نظرت إلى ملامح الوجه وتفصيله وكذلك التعبيرات النفسية التي تبدو عليه . ربما قد تقع في حيرة ما ، في تحديد الحالة النفسية التي تظهر على الوجه . فهل هو واثق أم وقور أم

قنوع أم جاد أم عنيد أم مغرور أم مضلل من قبل نفسه . قد نختلف في تحديد الحالة ولا نكن نتفق أن ملامح وجه لا تبدو عليها أي مظاهر الفرح أو السعادة ، وأيضاً لا يبدو عليها أي بوادر لابتسامة عابرة ، لذا تبدو الشفتان رفيعتان أكثر من اللازم ومطبقتان على بعضهما بصمت مستمر. أما العينان ذات اللون الأخضر المصفر فإنها تبدو كالبثور الزجاجي الشفاف ، الذي تستطيع من خلالهما رؤية قاعهما . وإذا تمعنت النظر فيهما فسوف تقع في حيرة في تحديد ملامحهما أيضاً . فقد ترى من وجهة نظرك أن العينان تعيشان لحظة تمعن وتفكر أو أنهما ينظران بنظرات ثابتة تتم عن غيظ وحقد دفين أو أنهما غارقتان في استعادة مشهداً قديماً كان قد أصاب هذا الرجل بالغيظ الشديد أو أنهما في حالة بحث مستمر عن حل أو مجموعة حلول مناسبة لمعضلة أو مشكلة ما . أو أنهما في حالة خوف وترقب من نية تهديد ووعيد أو ما شابه من الرؤى الذاتية. أما بشرة الرجل فهي تبدو خالية من شعر اللحية والشارب إلا جذور بعض الشعيرات البيضاء في أسفل الذقن ، وهذا يدل على أن الرجل الموجود في اللوحة كبير في السن ويؤكد على ذلك تلك الخطوط المنحنية في جبينه وفي كلا وجنتيه . وقد ارتدى ذلك الفراء الفاخر ذو اللون الأسود . وإذا نظرنا في أعلى اللوحة وفي أسفلها سوف تشاهد تلك الكتابة المرسومة والتي تبدو كأنها محفورة وهي في الأساس تعد جزء من اللوحة نفسها وليس إطاراً خشبياً كما يخيل لك . فهذه الكتابة المرسومة بالأوان الزيتية في الأعلى قد تضمنت كلمات التالية (, IXH , AVC XAN) ومعناها " كيفما استطعت ... كيفما استطاع ماذا؟" وفي الكتابة المدونة في الأسفل ، قد تضمنت كلمات كتب باللغة اللاتينية التي تعبر اللغة العالمية آنذاك ما عدا الرقمين (٣٣) و(٢١) فقد كتبا باللغة الإنجليزية وهذه الكتابة هي (JOHES.DE.EYCK.ME FECIT.ANO.M.CCCC.33.21)

(.OCTOBRIS) وترجمتها صني جو دي إيك عام ١٤٣٣م في الحادي والعشرين من أكتوبر.

المرحلة الثانية : التحليل الشكلي

هذه اللوحة التي أمامنا تشهد على قلة الألوان التي استخدمها الفنان (إيك) . حيث تحوي في معظم أرجائها على اللون الأسود الذي يطغى في مجمل جوانب هذا العمل سواء في الخلفية التي تقع خلف الرجل أو في لون فرائه أو في الظل المتكون على أجزاء من عمامته والذي على وجه الرجل مزيد من الغموض التي تستدعي الإمعان الدقيق في ملامحه وذاته وفي نظرات عيونه ، وكما أن اللون الأسود المنتشر بوفرة على أرجاء اللوحة ربما يوحي بأن هذا الرجل متوفى أو فارق الحياة قبل أن يرسمه. وقد سعى الفنان (إيك) بخفيف حدة اللون الأسود من خلال مقابله باللون الأبيض في الإطار المرسوم في اليمين واليسار. أما اللون الآخر فهو اللون الأحمر الظاهر بجلاء في لون العمامة والتي رسمت بدرجة واحدة من اللون نفسه ، والتي تشد نظرنا حتى ولو ابتعدنا عن اللوحة مسافة كبيرة نظراً لطول موجته الضوئية . كما أن اللوحة تحمل أيضاً ألوان أخرى تتمثل في درجات من البني والبيج في لون البشرة وكذلك لون الأخضر المصفر البارز في لون العينان. وأما الخطوط فقد نوع استخدم الفنان أنواع مختلفة من الخطوط المستقيمة في الإطار المرسوم (الأفقية والعمودية) والتي أكسبت اللوحة نوعاً من الاتزان ، والخطوط المنحنية في الخطوط الخارجية لتفاصيل الوجه وفي الفراء والذي يوحي برقة هذا الفراء وجودته ونعومته . وأيضاً في التجاعيد على الجبين والتي أوحى أثر الزمن الذي تركه على ملامح وجه والعمر الذي بلغه. وكذلك احتوت اللوحة على مجموعة من الخطوط المنكسرة والمتعرجة والمنحرفة والذي تشكل معظم في هيئة العمامة في أعلى رأس الرجل والتي أوحى بمدى التفاوت في تقدير حالة الرجل المزاجية للرجل من ناحية قلقه وتوتره أو الغموض الذي يحيط به .

المرحلة الثالثة : تحليل المعنى

أ- التحليل الداخلي أو الضمني

فاللوحة التي أمامنا ليست صورة شخصية للفنان نفسه ، كما أنها ليست منقولة من صورة سابقة داخل بروجاز أو إطار معلق على جدار أحد القصور أو الأبنية الضخمة . كما

أنه لم يجلس أمام الفنان أي شخص كي يرسمه أو يصوره ، ولا حتى مرآة يرى فيها نفسه . إلا أن هناك مثل هولندي قديم مشهور نصه " لقد فعلت هذا الشيء كيفما استطعت.. لا كيفما أردت " وهذا المثل يرجح الرأي بأن الفنان (إيك) لم يكن ينقل عن صورة سابقة بل عن صورة في ذاكرته قد يكون ربما هذا الرجل هو أحد أقاربه بعد أن مات . حيث طلب منه أن يرسمه وأن يستحضر ملامحه وشخصيته ويسجدها على اللوحة مع أنه لم يراه في حياته . وقد يكون ربما والد الدوق (فليب بورجندي) كونه عمل في معظم حياته في خدمة البلاط الملكي في العديد من القصور الكبيرة في أوروبا حيث نفذ في داخلها مجموعة من اللوحات الجدارية الكبيرة ، والصور الشخصية . وهذا الرأي يرجحه النقاد بدليل بأن الفراء الذي يلبسه الرجل قد بين مدى ثراء صاحبه ، وكذلك العمامة التي على رأسه والتي ترمز للوجاهة الاجتماعية أو المكانة الرسمية العالية أو منصب رفيع معين له وزنه ومكانته. فالكتابة العلوية والسفلية هو تأكيد على مدى الخبرة التي حصل عليها الفنان (إيك) والتي كرس فيها ذكائه ومقدرته الفنية . ولذا أبدى تواضعه وسجل على لوحته قوله رغم هذا فقد جاءت اللوحة كيفما استطعت لا كيفما أردت "

ب- التحليل الخارجي أو غير الضمني

كانت للأراضي المنخفضة والمقاطعات البلجيكية دور ملحوظ في النهضة الفنية في القرن الخامس عشر . واقتصر هذا الدور على مجال التصوير فقط . فقد أبدع الفنانون الفلمنكيون في رسم المواضيع التي تصور الحياة العادية كرسم الأشخاص الأثرياء والأثاث والأزياء وغيره . حيث كان لكل فنان شخصيته المتميزة والمستقلة عن الفنانين الآخرين . ويعتبر (إيك) أحد أبرز الفنانين الأوروبيين الذين بلغوا شهرة عالية في القرن السابع عشر ، والفنان (إيك) تميز بأسلوبه الخاص في التصوير ، والذي يعتمد على وضع طبقات متعددة من الألوان الزيتية فوق بعضها البعض على سطح اللوحة وكان نموذجاً لصدق التعبير عن الواقع في الحياة اليومية. وقد سعى مع أخوه (هوبرت إيك) على تطوير تقنية الألوان . ويرجع لهما الفضل بعد الله في ابتكار تقنية الألوان الزيتية في التصوير التي نستخدمها اليوم .

